

سلسلة دراسات
عن الشرق الأوسط
(١٠٣)

حركة عبد الرحمن بن الأشعث
وأثرها على ولايات المشرق الإسلامى

إعداد
دكتور فتحى أبو سيف
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
كلية الآداب - جامعة عين شمس

١٩٩١م

حركة عبد الرحمن بن الأشعث
وأثرها على ولايات المشرق الإسلامى

مظاهر الاضطرابات داخل الدولة الأموية – حركة مطرف بن المغيرة فى المشرق – ابن الأشعث ومشاركته فى التصدى لحركات الخوارج – جهود عبد الرحمن العسكرية فى المشرق – توتر العلاقات بين الحجاج وابن الأشعث – اعلان عبد الرحمن العصيان على الحجاج – اهالى المشرق وموقفهم من الحركة – تطور الحركة بخلع الخليفة عبد الملك – انعكاسات الحركة على الجوانب السياسية والعسكرية – نهاية الحركة وهزيمة عبد الرحمن ..

حركة عبد الرحمن بن الأشعث
واثرها على ولايات المشرق الإسلامى

مظاهر الأضطرابات داخل الدولة الأموية:

لم تكن دولة بنى أمية فى حاجة الى مزيد من الفتن والاضطرابات بعد أن عمت الفوضى للولايات التابعة للدولة، ولا مانع أن تكون فتن المركز هى التى ساعدت على انتشار الفوضى فى الولايات (1)، وخاصة فى الفترة التى تلت وفاة معاوية المؤسس (٦٠/٦٨١). واستمرت هذه الفتن ما يقرب من عقدين تقريباً (2)، وكانت أهم العوامل التى تدفعها إما عوامل سياسية بقصد الوصول الى منصب الخلافة كما كان الحال فى حركة عبد الله بن الزبير (3) أو عوامل مذهبية سياسية كما هو الحال عند الشيعة والخوارج (4) أو عوامل تراثية شعوبية وهى التى تجسدت فى حركات الموالى وانتفاضاتهم (5) ويمكننا أن نضيف الى هذه العوامل الرئيسية عامل رابع لارتباطه بموضوعنا محل البحث

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، الطبعة الأولى – بدون – ، ص ٢٩٧.

(٢) ضياء الدين الريس، عبد الملك بن مروان، سلسلة : اعلام العرب، العدد العاشر القاهرة ١٩٦٢، ص٢٠٢.

(٣) ابو الفداء، المختصر فى أخبار البشر (عدة اجزاء)، المطبعة الحسينية القاهرة، ج١، ص٧٥.، الخربوطلى، عبد الله بن الزبير، سلسلة اعلام العرب: العدد ٤٣، القاهرة، ص١١٠.

(٤) محمد حلمى احمد، الخلافة والدولة فى العصر الأموي، القاهرة ١٩٧٤، ص١٨٠.

(٥) عن هذه الحركات انظر : فلهوزن، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية، ترجمة ابو ريده راجعه حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٨، صفحات ٢١٠ وما بعدها وماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٠، ج٢، ص٢٢٨.؛ حسين كاظم زاده، تجليات روح ايرانيان، برلين ١٩٢٣، ص٥٧.، كذلك:

Watt (W.M), Islam and integeration of Society, London 1966, P.92.
6- Hell, The arab civilization, Lahore 1943, P.60.

ونقصد به العامل الشخصى أو الذاتى، حيث يشعر القائد أو الوالى فى خضم الفوضى أن لديه من الامكانيات ما يؤهله للانقلاب على الدولة الحاكمة وتقلد السلطة العليا بها فيتسم خروجه وعصيانه بخروج كلى على الخلافة مما يترتب عليه اعباء على اجهزة الدولة فى المركز لصد هذه الحركات والقضاء عليها.

حركة مطرف بن المغيرة فى المشرق:

وتعتبر حركة مطرف بن المغيرة بن شعبة من الحركات التى هددت امن الخلافة الاموية فى المشرق (١) زمن الخليفة عبد الملك (٦٥-٨٦-٦٨٤-٧٠٥) فكان الحجاج بن يوسف قد أوكل الى بنى المغيرة لثقته فيهم ادارة الولايات فى المشرق، فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همذان، وكانوا فى اعمالهم من أحسن الولاة وأصلحهم. فلما انتشر فكر الخوارج فى المشرق، وتحققت لهم انتصارات على جيوش الامويين (٢) وامتدت املاكهم الى قرب المدائن، رأى مطرف مراسلة زعيمهم شبيب بن يزيد الشيبانى للتعرف على آرائهم. ورغم ما ابداه مطرف من اعجاب بهذه الأراء فانه يبدو أن الاختلاف بين الطرفين كان مصدره اما القيادة أو اسس الحكم، فقد طلب منهم مطرف ضرورة الاعتماد على الشورى بعد خلع الحجاج وعبد الملك، فاختلفوا معه. وهنا فضل مطرف عدم البقاء فى المدائن القريبة من تجمعات الخوارج أو قواعد الحجاج بن يوسف حاكم العراق والمشرق فسار مطرف بمن انضم معه الى الدسكره ومنها الى حلوان ثم قارب همذان التى بها اخوه حمزه فامده سرا بالمساعدات. ثم وصل الى قم وقاشلن وبعث عماله على تلك النواحى (٣) ويبدو لنا أن مبادىء تلك الحركة التى تنادى برفع الظلم عن الموالى والعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) لاقت القبول عند عامة

---

(١) عن هذه الحركة انظر ابن الاثير، الكامل فى التاريخ (عدة اجزاء) نشر دار الكتاب العربى بيروت ١٩٨٣، ج٤، ص٦٢.

(٢) ضياء الدين الريس، عبد الملك بن مروان ، صفحات ٢٣٩ و ٢٤٠.

(٣) ابن الاثير، نفس الكتاب والجزء ، ص٦٢.

الناس فى المناطق التى وصلها وحكمها مطرف، فاقلق ذلك الحجاج، وأصدر أوامره الى عماله فى المشرق بسرعة الانقضاض على تلك الحركة قبل استفحال أمرها. وكانت الامدادات التى ارسلها الحجاج الى كل من البراء بن قبيصه عامل أصبهان وعدى بن زياد عامل الرى من اهم العوامل التى ادت الى كبت حركة مطرف بن المغيرة فى المشرق، وهى من الأمثلة التى قادها ولاة لبنى أمية ضد الحكومة الاموية ونوابها فى العراق (١).

لم تختلف تجربة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى كثيراً عن تجربة مطرف بن المغيرة التى تحدثنا عنها، فكلاهما بدأ بخدمة الدولة الأموية وتولى لها مناصب قيادية سياسية أو عسكرية ثم انقلب عليها، وكان ذلك ايضا فى عهد عبد الملك، ويمكننا حسب اعتقادنا أن نغلب العامل الشخصى فى خروج عبد الرحمن الذى دفعه اعتزازه بالانتماء الى اجداده من ملوك كنده باليمن الى التمرد على سياسة الحجاج وقسوته فى التعامل (٢). أما مطرف فلعل هذا العامل الشخصى لم يكن أساسياً فى حركته التى اندفعت تحت تأثير عوامل دينية واجتماعية وغيرها.

وتعتبر فترة حكم الخليفة عبد الملك من أدق المراحل التى مرت بها الدولة الأموية، حيث كانت الاضطرابات سائدة معظم انحاء الدولة بسبب ما اتسمت به النظام المالية والاجتماعية من استبداد وظلم زمن اسلافه من خلفاء بنى اميه (٣). فقد اتخذ الأمويون سياسة تفضيل العنصر العربى على غيره كأساس لحكمهم، مما أفقدهم تأييد القاعدة العريضه من العجم ومصلحى العرب الذين وجدوا فى هذه السياسة ما يتنافى مع مبدأ

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص٦٢.

(٢) تذكر بعض المصادر ان الحجاج كان يكره عبد الرحمن ويبغضه حتى قال: ما رأيته قط الا هممت بقتله وذلك لكبرياء عبد الرحمن وزهوه بنفسه كما أن ابن الأشعث بادل الحجاج نفس الكراهية انظر ابن كثير، البداية والنهاية – عدة اجزاء – تحقيق أحمد بن ملحم وعلى نجيب وفؤاد سيد ومهدى ناصر، طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥، ج٩، ص٣٤.

(٣) محمد أمين صالح، التاريخ الإسلامى، القاهرة ١٩٧٧، ص١٣٦.

المساواة الذى أقره الدين الإسلامى[(١)].

وقد أدت هذه السياسة الأموية التى اقترن بها اعباء ماليه حملها العجم على عاتقهم الى ظهور نزعات شعوبيه لدى الولايات الفارسية فى المشرق، مما يفسر سرعة انضمام هذه الولايات الى كل ثائر على الحكومة المركزية [(٢)] ، ناهيك عن العامل التراثى الذى كان يدفع الفرس بين الحين والآخر للتعبير عن معارضتهم لهذه السياسة الأموية. ورغم محاولة بعض المؤرخين [(٣)] الدفاع عن تلك السياسة الأموية والتماس بعض الاعذار لخلفاء بنى أمية فاننا لا يمكننا الوقوف بجانب العديد من مظاهر الكبت والقهر التى تعرض لها الموالى من المسلمين فى عصر بنى أمية ما عدا الفترة الوجيزة التى حكم فيها الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١). فيذكر على سبيل المثال أن الحجاج ابن يوسف وهو يعاصر الفترة التى نبحثها فرض على المناطق الشرقية ما يشبه الحكم العرفى، فأصدر قرارا بمنع التجمهر، وكان يحاسب على الشائعات كمحاولة منه للقضاء على مشاكل المشرق [(٤)].

مشاركة ابن الأشعث فى التصدى لحركات الخوارج:

وكان الخوارج كفرقة مذهبية مناوئة للخلافة الأموية من أهم المشاكل التى واجهت الخليفة عبد الملك ووالى المشرق الحجاج بن يوسف، وذلك بسبب جذب أهالى المشرق لمبادىء الخوارج وانضمامهم اليهم. فقد كان الخوارج ثوارا على استئثار فريق بالحكم

---

(١) سورة الحجرات، آية ٩٠.

(٢) فان فلوتن، السيادة العربية والشيعة والاسرائليات فى عهد بنى اميه، ترجمة حسن ابراهيم ومحمد زكي، القاهرة ١٩٦٥، ص٦٠.؛ عبد الله مهدى الخطيب، الحكم الأموى فى خراسان، رسالة ماجستير بآداب عين شمس ١٩٧١، ص١٣٧.

(٣) ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، القاهرة ١٩٦١، ص٢٧١.

(٤) انظر المرزبانى، معجم الشعراء تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٠، ص٧٣.؛ عبد الله مهدى الخطيب، الحكم الأموى فى خراسان، ص٣.

والسيطرة دون فريق، فحاربوا كل من خالفهم سواء أكان علويا أم أمويا (١)، وكان معظم الخوارج من تميم وبكر أى من القبائل التى كانت تنزل شرقى شبه الجزيرة العربية (٢) وصاروا ينادون بأن المسلمين سواء وأنه لافضل لأحد منهم على الآخر الا بالتقوى وأن الامامة تصلح لمن يكون أهلا لها ولو كان عبدا حبشياً، فانضم الى الخوارج العديد من أهالى المشرق.

وقد شهدت المرحلة التى انقسمت فيها املاك العالم الإسلامى بين الزبيريين والأمويين انتشار خلايا الخوارج فى الولايات الشرقية كالبصرة والأهواز وفارس وكرمان وبصفة خاصة سجستان(٣) مما قوى من دعوتهم. وبسبب قوة ارادة الخوارج وتفانيهم فانهم كانوا على قلتهم يغلبون قوات كبيرة فى المعارك التى كانت تدور بينهم وبين اعدائهم، حتى أن أحد قادتهم ويدعى شبيب بن يزيد الشيبانى استطاع أن يلحق هزائم متكررة بالجيوش أو الفرق الأموية التى كان يرسلها الحجاج للقضاء عليه مما اقلق كل من الخليفة عبد الملك ووالى المشرق الحجاج (٤).

---

(١) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشن، طبع مكتبة ابن سينا القاهرة ١٩٨٨، ص٧٢.؛ سهير القلماوى، أدب الخوارج فى العصر الأموي، طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥، ص٣٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٧٣.

(٣) ويرجع فى انتشار الخوارج بسجستان الى تطرف موقعها فى أقصى الشرق عن ذلك انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥، ص٣٧٢ وما بعدها.؛

Bosworth, sistan undem the Arabs from the Islamic Conquest to the rise of the saffarids 30-250-651-864, Rome 1968, P.1.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٤، صفحات ٦٠ وما بعدها.

ولذلك استدعى الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث وأمره أن يسير بجيش تجاه شبيب هذا. وحذر الحجاج عبد الرحمن وجنده أن لحقت بهم الهزيمة من هذا الخارجي. واثبت عبد الرحمن كفاءة قيادية، حيث ضغط على جيش شبيب وحاصره في مواقع متعددة، ولولا انسحاب جيش شبيب لتعرض الى الحرج أو الهزيمة، وتمكن عبد الرحمن من ابعاد شبيب الى منطقة شهرزور (١). فلما اكتشف عبد الرحمن اقامة شبيب الخنادق حول معسكره، لم يجد عبد الرحمن بخبرته العسكرية ضرورة لمتابعة الحرب في ذلك الوقت. ولكن الحجاج رفض مثل هذا الرأى قطعياً، حيث كان يتعطش لالحاق هزيمة ساحقة بجيش شبيب، ومن ثم أقدم على تحويل قيادة الجيش من عبد الرحمن بن الأشعث الى عثمان بن قطن بعد أن زوده بالامدادات.

ولكن الهزيمة حلت بجيش عثمان، كما تمكن جيش شبيب من أسر ابن الأشعث في هذه المعركة، ولكن شبيباً افرج عنه، فلما وصل عبد الرحمن الى الكوفة اختفى بها خوفا من الحجاج حتى أخذ له الأمان منه. (٢)

وهكذا بدأت شخصية عبد الرحمن بن الأشعث تخرج الى السطح، فبالرغم من عدم تحقيقه الانتصار الكامل على جيش شبيب، فانه ثبت للحجاج فيما بعد كفاءة ابن الأشعث وقدرته على قيادة المعارك، مما سيجعله أحد قادة الدولة الأموية البارزين في مواجهة ومتابعة خوارج المشرق.

ولما كانت ولاية سجستان من أهم مراكز تجمع الخوارج في فترة ولاية الحجاج لتطرف موقع هذه الولاية وبعدها عن مركز الدولة. وكان ولاة العراق وقادتهم إذا زادت نشاطاتهم العسكرية في التصدى لفرق الخوارج، لجأ هؤلاء الى الولايات البعيدة مثل

---

(١) شهرزور وهى كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان وأهلها أغلبهم اكراد عنها انظر ياقوت، معجم البلدان (عدة اجزاء)، طبع دار صادر بيروت ١٩٨٤، ج٣، ص٣٧٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٤، صفحات ٤٤-٤٨ و ٥١-٥٣، وكذلك ضياء الدين الريس، عبد الملك بن مروان، صفحات ٢٣٩ و ٢٤٠.

سجستان وقد لعب المهلب بن ابى صفرة [1] من قبل دوراً فعالاً فى ضرب الخوارج الازارقة [2] الذين يعدون أخطر فرق الخوارج واكثرها عنفاً [3] وذلك عندما كان المهلب موالياً لآل الزبير.

فلما قضى على الحركة الزبيرية بمقتل مصعب بن الزبير فى العراق (٧١/٦٨٩)، تجدد خطر الازارقة فى الولايات الشرقية رغم جهود قادة الأمويين فى تكرار حربهم [4]، وهنا نذكر دور المهلب بن أبى صفرة مرة أخرى الذى اعلن الولاء لعبد الملك بن مروان، واستمر فى حرب الازارقة بما توفر له من خبرة فى حرب الخوارج، فكان لجهودة اكبر الأثر فى تقويض نفوذهم بالولايات الشرقية وخاصة بعد أن تولى الحجاج بن يوسف الثقفى أمر العراق والمشرق (٧٥/٦٩٤) . وكان من أهم أهدافه القضاء على الاضطرابات والفتن بالدولة وعلى وجه الخصوص فتن الخوارج الازارقة بالمشرق [5]. واستمرت هذه الجهود حتى تمكن المهلب من تحقيق العديد من الانتصارات على الازارقة وارغامهم على الانسحاب امامه، فساعدت هذه الانتصارات على تفريق كلمة الازارقة فى سنة ٧٧/٦٩٦ ودب الخلاف بينهم فتخاذلت جموعهم وفرقهم فى الولايات الشرقية،

---

(١) عن المهلب ودوره فى مقاومة الخوارج انظر : الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦٠، صفحات ٧٥، وما بعدها. وابن فندق، تاريخ بيهق بتصحيح وتعليقات احمد بهمنيار ومقدمه ميرزا محمد بن عبد الوهاب قزويني طهران ١٣٤٨ه، ص٢٤.، نافع العبود، آل المهلب بن أبى صفره، بغداد ١٩٧٩، صفحات ٥٥ وما بعدها.

(٢) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٧٨. الاسفراييني، التبصير فى الدين، مطبعة النهضة تونس ١٩٣٩، ص٣٢.

(٣) الشهرستانى، الملل والنحل (جزءان) تحقيق محمد سيد كيلانى القاهرة ١٩٦١، ج١، ص١١٤.؛ الدجيلى، الازارقة، رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧١، صفحات ٦١ وما بعدها.

(٤) ابن عبد الحق البغدادى، مراصد الاطلاع، تحقيق على البجاوى طبع دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٥-١٩٥٦، ج١، ص٣٥٥.

(٥) الزبير بن عبد الله بن بكار، الأخبار الموفقيات تحقيق سامى مكى العانى بغداد ١٩٧٢، صفحات ٩٤ وما بعدها.

وهدأت ثورتهم، وخاصة بعد أن قتل قطرى بن الفجاءة فى طبرستان، وهو زعيم هذه الفرقة آنذاك (١).

ولكن هذه الهزائم لم تقض نهائياً على خطورة الخوارج، فقد بدأت تجمعاتهم من جديد فى ولاية سجستان التى وفرت لها الطبيعة بعض الامتيازات لتطرف موقعها، كما أن أهالى هذه الولاية عرفوا بشدة معارضتهم للحكم الأموى، فلم يكن غريباً أن تلقى افكار الخوارج رواجاً فى هذه الولاية (٢).

لذلك رأى الحجاج ضرورة تتبع هؤلاء الخوارج، فجهز حملة عسكرية فى ٦٩٨/٧٩ تحت قيادة عبيد الله بن أبى بكرة لمتابعة هؤلاء الخوارج، وفرض الهيبة الإسلامية على منطقة كابل المجاورة لسجستان (٣). ونجح عبيد الله فى ضرب تجمعات الخوارج فى سجستان بل واستطاع ايضاً تحقيق بعض الانتصارات على رتبيل حاكم كابل (٤)، غير أن الغرور قد أصابه عندما انسحب أمامه رتبيل، فتوغل عبيد الله بجيشه الى مسافات بعيدة وحصر جيشه فى مناطق، انقطعت بها خطوط الرجعة وذلك لعدم دراية عبيد الله بمجاهل الطبيعة الجغرافية لهذه البلاد فلحقت بالجيش الإسلامى هزيمة ساحقة، واطلق على هذا الجيش "جيش الفناء" (٥)

---

(١) الدينورى، الأخبار الطوال، ص٢٨٦.

(٢) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، صـ١٩٠.

(٣) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك (عدة اجزاء)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٧، ج٦، صـ٣٢٤. ومجهول، تاريخ سيستان، بهمت محمد رمضانى طهران ١٣١٤، صـ١١١. كذلك :

Bosworth, ubuidallah b. Abi Bakra and the army of destruction, Der Islam 1973,P.278.

(٤) خواندمير، حبيب السير، تحقيق محمود سيافى، ازانتشارات كتابفروش خيام طهران ١٣٥٢ هـ. ش، ج٢، صـ١٥٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤، صـ٤٥٤ وميرخواند، روضة الصفا (عدة اجزاء) طبعة طهران ١٣٣٩، ج٣، صـ٢٧٩؛

Bosworth, Opcit, PP. 279-280.

فلما وصلت أخبار هذه الهزيمة الى الخليفة عبد الملك الذى يعد المؤسس الثانى للخلافة الأموية (١)، لم يكن من السهل قبول مثل هذا الحدث الجلل، الذى أساء لسمعة جيش الدولة الأموية فى تلك الفترة (٢). وكان الحجاج بوصفه مسئولاً عن العراق والمشرق اكثر الناس ضيقاً بتلك الهزيمة، فاتفقت الكلمة اذن على ضرورة الانتقام من رتبيل لما الحقه من خسائر عسكرية ومعنوية فى الجيش الإسلامى.

فجهز الحجاج جيشاً قوامه اربعون الفاً من الكوفة والبصرة (٣)، حيث تم اختيارهم على أساس الكفاءة العالية فى القتال والشجاعة، ثم أمدهم الحجاج بالخيل السريعة والأسلحة. ويبدو أن هذا المظهر الجذاب والاعداد الجيد هو الذى جعل البعض يطلق على هذا الجيش "جيش الطواويس".(٤) وكان الحجاج فى بداية الأمر قد أسند قيادة هذا الجيش الى شخص يدعى عمر بن عطاء، ولكنه غير رأيه فاستدعى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى وولاه قيادة هذا الجيش وولاية سجستان(٥). فربما أدرك الحجاج أن خبرة عبد الرحمن السابقة فى حرب الخوارج كما ذكرنا من قبل يجب الافادة منها بتعيينه على سجستان. ولعل الحجاج وضع فى اعتباره خطورة هذه الحملة وضرورة انتقاء قائدها ممن تتوفر فيهم صفات القيادة والزعامة حتى يتمكن من جمع الصفوف حوله وابعاد الفتن القبلية عن جيشه، وتلك صفات توفرت لعبد الرحمن لحسبه ونسبه.

---

(١) ابن دقماق، الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين (جزءان) تحقيق محمد كمال الدين، طبع عالم الكتب ببيروت ١٩٨٥، ج١، صـ٨٤.

(٢) تذكر بعض الكتب أن رتبيل فرض على عبيد الله بن أبى بكرة اتاوة قدرت بسبعمائة الف درهم. انظر عبد الحي حبيبى، تاريخ مختصر افغانستان (دو جلد)، طبعة كابل ١٣٤٦هـ.ش ، ج١، صـ١٩٧.

(٣) اختلفت المصادر فى تقدير عدد هذا الجيش. عن ذلك انظر تاريخ سيستان، صـ١١٣.

(٤) اليعقوبى، تاريخ (جزءان)، طبع دار صادر بيروت، ج٢، صـ٢٧٧. والطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٢٨.

(٥) المسعودى، مروج الذهب (عدة اجزاء)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨، ج٣، صـ١٣٨. وتاريخ سيستان، صـ١١٣.

عبد الرحمن وجهوده العسكرية فى المشرق:

سار عبد الرحمن بجيشه الى سجستان فـــى ٨٠/٦٩٩؛ فوجد الخـوارج قـد استوطنوها وزاد عددهم بها تحت زعامة همام بن عدى السدوسى، فقاتلهم عبد الرحمن، والحق بهم الهزيمة، وأرسل الى الحجاج رؤوس زعمائهم. وبذلك أقر عبد الرحمن الأمان على المدينة – سجستان – ثم تابع جموع الفارين وبقاياهم فى الضواحى والمناطق القريبة من سجستان، حتى دانت له ولاية سجستان بكاملها.[١]

غير أن عبد الرحمن فوجئ بعد ذلك بظهور تجمعات خارجية جديدة فى سجستان وفى المناطق المحيطة بها. وكان حماسهم وحميتهم فى قتال جيش عبد الرحمن اكثر ضراوة مما سبق[٢]، فلم يجد عبد الرحمن حرجا فى طلب العون من قادة وولاة بنى أمية فى المنطقة الشرقية حتى لايتعرض جيشه الى الهزيمة، فيذكر أنه راسل المهلب بن أبى صفره الذى كان يتولى خراسان، فأسرع الأخير بتلبية مطالب ابن الأشعث بارسال الامدادات بل والمشاركة ببعض الفرق التى قوت من موقف جيش عبد الرحمن، فساعد ذلك على ضرب قوة الخوارج من جديد.[٣]

وأغلب الظن أن هذه القدرة العسكرية هى التى دفعت رتبيل أو حاكم كابل الى مراسلة عبد الرحمن والاعتذار له عن الخسائر التى لحقت بالجيش الإسلامى فى الحرب السابقة التى كأن يقودها عبيد الله بن أبى بكرة، بل وجدنا رتبيل لا يمانع فى عقد

---

(١) المسعودى، التنبيه والاشراف، طبع دار التراث بيروت ١٩٦٨م.، صـ٢٧١.؛ الخولى، سجستان بين العرب والفرس، طبع دار حراء ١٩٨٦، صـ٦١.؛ أحمد على كهزاد، تاريخ افغانستان، جلد سوم، صـ٥٠.؛

Miles (S.B), Countries and tribes of the Persian gulf, London 1966, P.355.

(٢) تاريخ سيستان، صـ١٠٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٤، صـ٤٥٤ و الشهرستانى، الملل والنحل، ج١، صـ٨٥.

الصلح ودفع الخراج[1] أو ما يمكن أن نطلق عليه مال الصلح.

لكن عبد الرحمن على ما يبدو كان يعلم نوايا العهد الجديد الذى يمثله آنذاك عبد الملك والحجاج وما أرادا أن يفرضاه من هيبة على الثغور والانتقام من حاكم كابل، لذلك قرر عبد الرحمن الحرب وزحف بجيشه تجاه كابل.[2] فوضع رتبيل خطته على أساس الإنسحاب أمام الجيش الإسلامي وليس مواجهته، حيث أفادت التجربة أن هذه افضل الطرق الدفاعية وخاصة أمام ذلك الجيش الكبير الذى وصلت أخباره الى رتبيل. وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمام جيش عبد الرحمن فاستولى على بعض المدن مدينة تلو أخرى ثم يفرض عليها الخراج.[3]

ومع ذلك فقد استوعب عبد الرحمن التجربة التى مرت بجيش ابن ابى بكرة من قبل، فقد التزم عبد الرحمن بالتريث والروية فى فتوحاته وحروبه سواء فى سجستان أو كابل، وقد أفاده التريث من الناحية الحربية حيث كان جنده يحصلون على قسط من الراحة بالاضافة الى دراسة الوضع الاستراتيجى للمنطقة التى يحاربون على أرضها.[4] أما الناحية الاقتصادية، فقد ساعدت روية ابن الأشعث فى فتوحاته على جمع الأموال من المدن التى تم فتحها، فتساعده هذه الأموال على استمرار الفتح. يضاف الى هذا أن تريث ابن الأشعث بجيشه فى مدن سجستان وكابل، وقد حفل هذا الجيش بكبار الصحابة والتابعين، ساعد على ارساء قواعد الإسلام وانتشاره[5]. ولا مانع من وجهة نظرنا أن يكون هناك عامل شخصى من تريث واستقرار عبد الرحمن

(١) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، صـ٣٢٨. وابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، صـ٣٤.؛ عبد الباقى لطيفى، افغانستان ويك نكاه اجمالى به اوضاع وشئون مختلفة، كابل ١٣٢٥ هـ.ش.، صـ٦٧.

(٢) اليعقوبى، تاريخ، ج٢، صـ٢٧٧.؛ الخولى، سجستان صفحات ٦١ وما بعدها.

(٣) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، صـ٣٢٩. وابن كثير، البداية، ج٩، صـ٣٤.؛ محمد أمين صالح، التاريخ الإسلامى، صـ١٣٦.

(٤) اليعقوبى، تاريخ، ج٢، صـ٢٧٧.

(٥) اليعقوبى، نفس الجزء، صـ٢٧٨.

بعض الوقت فى سجستان واستطاعته تحويل عاطفة أهلها الى صفه، فلعل عبد الرحمن أدرك أن ما بينه وبين الحجاج لن يكتب له الصفاء ولن تستمر المودة بينهما، فقد كان الحجاج قاسيا فى طبعه، كما أنه غلبت عليه ظنونه السيئة فى عدم اخلاص عبد الرحمن وعبرت عنها بعض رسائله لابن الأشعث[1]، فاراد الأخير أن يجعل من قيادته لجيش الطواويس فرصته فى وضع قاعدة له تقوم على ركيزتين وهما المكان والسكان لذلك اختار سجستان لتكون تلك القاعدة المناسبة بما لها من موقع متميز.[2]

ورغم ما ذكرناه عن الخطة الناجحة التى ادار بها عبد الرحمن حرب رتبيل، فإن الحجاج أرسل الى ابن الأشعث ما يسيىء اليه وإلى خطته، حيث كان الحجاج يرغب فى عدم ترك رتبيل، بل ملاحقته وهدم حصونه لتعويض الخسارة المعنوية التى لحقت بالجيش الإسلامى من قبل. وبدأت رسائل الوعيد والتهديد تترى من جانب الحجاج على عبد الرحمن، وتلك شرارات ستتحول الى فتنة جديدة.[3]

توتر العلاقات بين الحجاج وابن الأشعث:

أراد الحجاج على ما يبدو ابعاد عبد الرحمن عن سجستان فاصدر له أمرا بالسير على رأس جيشه ناحية السند لغزوها، فكتب عبد الرحمن الى الحجاج "سأغزو ولكن لن آخذ باطلا ولن أريق دماً بغير حق ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق" [4]

كان لهذه الرسالة أثرها على أهالى المشرق الإسلامى بصفة عامة وأهالى سجستان بصفة خاصة، حيث كانت غالبية الفرس تضج بسياسة الحكومة الأموية وقسوة

---

(١) عن هذه المراسلات انظر الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٢٩.

(٢) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، طبع ليدن ١٩٠٦، صـ٣٠٥؛ لستريخ، بلدان الخلافة، صـ٣٧٣.

(٣) حملت بعض رسائل الحجاج عبارات جارحة فى حق ابن الأشعث منها "يا ابن الحائك الغادر المرتد امضى الى ما أمرتك به وغيرها. ويقال إن جد عبد الرحمن وهو شيث عاصر حركة الرده وكان قد ارتد، فعيره بها الحجاج. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، صـ٣٧.

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٣٥. تاريخ سيستان، صـ١١٤.

الحجاج[١]، كما لعب الخوارج دورا فى اشعال هذه الكراهية. لذلك التف أهالى سجستان حول عبد الرحمن وايدوه، وخفت حدة التوتر التى كانت تربطه بالخوارج من قبل[٢]. غير أن الحجاج ظل يلح على عبد الرحمن بضرورة الضغط على رتبيل والتوغل فى أرض كابل، الأمر الذى يتنافى مع مصلحة الجيش الإسلامى ويهدد سلامته حسب رؤية ابن الأشعث.

اعلان عبد الرحمن العصيان على الحجاج:

لذلك قرر عبد الرحمن عدم الالتفات الى نداءات الحجاج الذى لا يقدر خطورة الموقف، بل وجدنا ابن الأشعث يقدم على عقد الصلح مع رتبيل، فاستقرت بذلك احوال سجستان.[٣]

ولكن الحجاج ظل يلاحق عبد الرحمن برسائل التهديد والوعيد وهنا قرر ابن الأشعث اعلان الخروج على طاعة الحجاج، فجمع جنده واطلعهم على كتبالحجاج وما بها، واستطاع أن يقنعهم أن الحجاج بسياسته تلك يرمى الى الدفع بهم فى المهالك.[٤]

وكانت الخطة قد وضعت أن يعلن كبار القادة عن رغبتهم وسط جموع الجند فى خلع الحجاج ومبايعة ابن الأشعث[٥]. ونعتقد أن الحجاج يتحمل جانباً كبيراً من

---

(١) عبد الله مهدى الخطيب، الحكم الأموى فى خراسان، صـ٣٠.
Ency of Isl' (art Adjam) 2 ed., Voll, P. 206.

(٢) حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (عدة اجزاء)، طبع دار النهضة المصرية ١٩٨٢، ج١، صـ٣٠٢.

(٣) ابن كثير، البداية، ج٩، صـ٣٨.

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٣٥. وابن قتيبة، الامامة والساياسة (جزءان)، دار المعرفة بيروت، ج٢، صـ٢٦. وابن الأثير، الكامل، ج٤، صـ٤٦٢.

(٥) اختلفت المصادر حول بداية وقوع الفتنة أو اعلان عبد الرحمن العصيان، فيذكر البعض أن ذلك حدث فى سنة ٨١ ويذكر البعض الآخر أن حدوث تلك الفتنة بتاريخ ٨٢. انظر ابن كثير، البداية، ج٩، صـ٣٧.

المسئولية عن وقوع تلك الشدة وذلك بسوء معاملته وعنفه فى معاملة ابن الأشعث بالاضافة الى تدخله فى القرارات العسكرية وهو بعيد عن جبهة المعركة، وهو خطأ لو انصاع اليه عبد الرحمن لتكررت كارثة جيش الفناء فى كابل. ثم أن الحجاج كان يمكنه بعد أن ثبت عبد الرحمن نفوذ الدولة الأدرية فى سجستان وحدود كابل المحافظة على هذا الوضع دون اثارة المشاكل مع ابن الاشعث ولو مؤقتاً، وخاصة أن جند ابن الأشعث من أهل الكوفه والبصرة لن يفضلوا البقاء طويلاً بعيداً عن أرضهم.

على اية حال فقد رفع ابن الأشعث راية العصيان على الحجاج علانية وبدأ يتصل ببعض ولاة بنى أمية الآخرين فى المشرق لحثهم على الانضمام اليه ومناصرته. ولدينا رسالة ارسل بها عبدالرحمن الى المهلب بن أبى صفره فى خراسان، يستهجن فيها سياسة الحجاج واعماله ويحاول كسب ود المهلب حيث جاء فى الرسالة: "وأنت ترى وتسمع عن سوء تصرفاته وانتقاده السيئ وتلك الأشياء التى ابتدعها فى الأسلام".(١)

أهالى المشرق وموقفهم من حركة ابن الأشعث:

وجعل عبد الرحمن من سجستان مقرا له، وبدأت المبايعات تترى عليه من أهالى المشرق الذين تجاوبوا مع الشعارات التى اطلقها ابن الأشعث من مساواة وعدالة عكس ما كانت عليه سياسة الحجاج وبصفة خاصة فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية. (٢) ويحدثنا صاحب تاريخ سيستان(٣) انه كان للفقهاء والقراء والاعلام الذين انضموا أو كانوا أصلا فى جيش ابن الأشعث أثرهم الفعال على ازدياد شعبية ابن الأشعث وكثرة من انضم اليه وخاصة فى الولايات الشرقية.

ونظرا لتلك الظروف الجديدة، فقد استغل رتبيل تلك القطيعة بين الحجاج وعبد الرحمن لصالح بلاده. فكما نعلم أن حكام كابل التزموا بدفع الخراج للدولة الإسلامية

---

(١) تاريخ سيستان، صـ١١٤ وما بعدها؛ العبود، آل المهلب، صـ٨٠.

(٢) الذهبى، دول الإسلام (جزءان)، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤، ج١، صـ٥٧.

(٣) صفحات ١٧٤و ١٧٥.

طالما كانت يد الخلافة قابضة وقوية على حدود سجستان. لذلك تذكر المصادر[١] أن رتبيل أمام قوة وانتصارات ابن الأشعث التزم بدفع الخراج له كممثل للدولة الأموية. غير أن خلع ابن الأشعث للحجاج، ووقوع الفتنة أدى بالتالى الى تعديل الاتفاق بين عبد الرحمن ورتبيل على النحو التالى:

أولاً : فى حالة استمرار حركة عبد الرحمن ونجاحها فى المشرق فيتم اعفاء رتبيل نهائيا من الأموال التى كان ملتزماً بدفعها .

ثانياً : يتعهد رتبيل فى حالة فشل حركة ابن الأشعث أن يلجأ الأخير الى بلاد كابل ليحتمى بها . وبذلك تحول اعداء الأمس الى حلفاء. وضمن ابن الأشعث بهذه الاتفاقية حماية ظهره ، حيث كانت خطته ترمى الى السير تجاه العراق لمواجهة الحجاج، وخاصة أن جند عبد الرحمن لم تعد لهم طاقة للاستمرار بعيداً عن أسرهم فى الكوفة والبصرة.[٢]

وسار جيش عبد الرحمن فعلاً تجاه العراق فى ٧٠١/٨٢ ويبدو أن ما حققه هذا الجيش من انتصارات فى سجستان وكابل وحفاظه على كامل قوته جعلت عبد الرحمن وقادته يتصورون أن النصر سيكون حليفهم، يضاف الى هذا الحماس الذى سيطر على جيش عبد الرحمن بعد أن انضم اليه أهالى الولايات الشرقية من الفرس، وتشجيع العلماء والقراء للحركة، ثم ما حققه جيش عبد الرحمن من انتصارات سريعة جعلته يزداد زهوا بامكانية الانتصار على جيش الحجاج وتغيير الأوضاع المترتبة على وجود الحجاج فى السلطة.

تطور الحركة بخلع الخليفة عبد الملك:

ونعتقد أن الغرور لعب دوراً خطيراً فى نفس ابن الأشعث، مما أثر على مصير الحركة كلها، فلا ندرى الأسباب الموضوعية التى جعلت ابن الأشعث مرة واحدة عندما

---

(١) اليعقوبى، ج٢، صفحات ٢٧٨ و ٢٧٩ ؛ فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، صـ١٩١ .

(٢) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٢٨.

اقترب بزحفه من ولاية فارس (١) فى طريق عودته أن يعلن خلع الخليفة عبد الملك نفسه بالاضافة الى الحجاج، ثم طالب الناس بمبايعته على كتاب الله وسنة نبيه!(٢)

فلعل ابن الأشعث أراد أن يثير جماهير الفرس وغيرهم من المتضررين من جراء سياسة بنى أمية وولاتهم على تلك الدولة، ونلمس ذلك من اشارته الى المبايعة على كتاب الله وسنة نبيه، وهى الدعوة التى كانت حركات المعارضة داخل الدولة الأموية دائما ترددها. فاراد ابن الأشعث اذن اعلان أن القضية لم تعد نزاع مع الحجاج والى العراق والمشرق بل تشمل ايضا نظام الخلافة الأموية برمته، ولعل ابن الأشعث أراد بخلع الخليفة الأموى توسيع دائرة اتباعه من الفرس وهم الرافضون للسياسة الأموية(٣). ونستطيع أن نلمس ذلك الاتجاه فى اللقب الذى اطلقه ابن الأشعث على نفسه وهو "ناصر المؤمنين"(٤)

انعكاسات الحركة على الجوانب الساسية والعسكرية للدولة الأموية:

اربكت حركة ابن الأشعث عبد الملك والحجاج معاً، وحسبا لها حساباتها. فارسل عبد الملك الامدادات والمؤن من الشام وتجهز الحجاج للمواجهة العسكرية. فلما سار ابن الأشعث بجيشه تجاه العراق تقابل مع جيش الحجاج عند الأهواز ولكن الهزيمة حلت بالأخير(٥) الذى انسحب الى البصرة ثم اعاد ترتيب صفوفه، وأقام استعداداته التى يبدو أن ابن الأشعث لم يضع لها اعتباراً، فوقعت الهزيمة بابن الأشعث وجيشه(٦)،

---

(١) عنها انظر ياقوت، معجم، ج٤، صـ٢٢٦.؛ لسترنج، بلدان، صـ٢٨٣.

(٢) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٣٨. والمسعودى، التنبيه والشراف، صـ٢٧٢. وابن كثير، البداية ج٩، صـ٣٨.

(٣) عبد الله مهدى الخطيب، الحكم الأموى فى خراسان، صـ٤.؛ فتحى أبو سيف، المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال، القاهرة ١٩٧٨، صـ٤٤.

(٤) المسعودى، التنبيه، صـ٢٧٢.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٤٦.

(٦) اليعقوبى، ج٢، صـ٢٧٨. وتاريخ سيستان، صـ١١٥.

واضطر الى الانسحاب وعاد الى الكوفة، فلحقه الحجاج بها.[١]

نزل الحجاج قريبا من عبد الرحمن بن الأشعث الذى انضم اليه أهل البصرة والكوفة لكراهيتهم للحجاج وجند الشام[٢]. ولعل ما اتسمت به حركة ابن الأشعث بصبغة اجتماعية من أهم العوامل التى أدت الى صمودها وتحديها للحجاج. ومما زاد من خطورة تلك الحركة أن الامدادات بدأت تصل الى عبد الرحمن من مناطق متفرقة بالمشرق، فعظم ذلك على عبد الملك مما دفعه الى ارسال ابنه عبد الله وأخاه محمد للتفاهم مع أهل العراق، والتفاهم مع قادة المعارضة.[٣]

وقد حمل وفد الخليفة عبد الملك اقتراحات الى زعماء الحركة المناوئة وعلى رأسهم عبد الرحمن، فعرض عليهم وقف القتال مع عزل الحجاج عن العراق واستبداله بمحمد ابن مروان وأن يعامل جند العراق بنفس معاملة جند الشام من الناحية المالية. وفيما يخص ابن الأشعث فيمكنه أن يختار أى بلد شاء ويكون عليها اميرا مادام حيا.[٤]

وكان ذلك العرض من جانب الخليفة صفعة شديدة فى حق الحجاج بن يوسف وتطلعاته، لذلك راسل الخليفة مرارا بضرورة العدول عن هذا العرض أو تلك المفاوضات المقترحة والقائمة[٥]، ولكن عبد الملك لم يستجب لنداءات الحجاج، فلم يبق لدى الأخير غير أمل بعيد وهو أن يرفض أهل العراق انفسهم اقتراحات الخليفة!

ومن الطريف أن ذلك الأمل البعيد قد تحقق فعلاً، فعلى ما يبدو أن أهل العراق قد

---

(١) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٤٣.

(٢) الأصفهانى، الأغانى (عدة اجزاء)، تحقيق عبد الستار فراج، طبع بيروت ١٩٦١، ج٦، صـ٣٤.
وابن كثير، البداية، ج٩، صـ٣٩.

(٣) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صفحات ٣٤٤ وما بعدها ؛
Gibb. (H.), Studies on the Civilization of Islam, P.8.

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صفحات ٣٤٧ وما بعدها ؛ فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، صـ٢٢٩.

(٥) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٤٨.

أصابهم الغرور من جديد، وتصوروا أنهم على وشك تحقيق الانتصار الكامل والا ما وصلتهم هذه التنازلات من جانب الخليفة ولذلك رفضوا التفاهم أو قبول شروط الخليفة.

وكان عبد الرحمن قد مالت نفسه أن يكون أميرا على احدى الولايات مدى الحياة، فقوبل برفض تام من انصاره وعلى حد قولهم "..إن الله قد اهلكهم فأصبحوا في حالة من الذل والضنك والمجاعة ... لا والله لانقبل".(١) ويطرح السؤال هنا نفسه فلماذا تراجع ابن الأشعث عن غلوائية موقفه اى خلعه للخلافة والاكتفاء باحدى الولايات.

أغلب الظن أن الانتصارات التى حققها ابن الأشعث فى المشرق وماتمتع به بين جنده من تقدير وضعت فى اعتقاده امكانية تحقيق انتصارات مؤكدة على جيش الخلافة، ظهرت له بشائرها فى انتصار الأهواز الذى احرزه جيش ابن الأشعث على جيش الحجاج(٢). غير أن استمرار المعارك أدى الى ركون الجند وميلهم الى ترك القتال، ومن هنا بدأت كفة الحجاج ترجح ويشتد ساعده فادرك عبد الرحمن هذا التغير بحسه العسكرى كقائد تمرس فى القتال وخاض العديد من الحروب. لذلك وافق على عرض الخليفة أى الحصول على ولاية وحكمها مدى الحياة، غير أن قادته رفضوا كما قلنا، ولم يكن له أن يخرج على رأيهم.

ونعتقد من جانبنا أن ولاية سجستان هى الولاية التى ربما فكر ابن الأشعث فى اختيارها على أساس الاتفاقية السابقة التى عقدها مع رتبيل كابل. ولكن هذا الاتجاه تبدد وتحطم باستمرار ابن الأشعث فى ادارة أمور حرب الحجاج .

نهاية الحركة وهزيمة ابن الأشعث

وازيحت الغمة التى كانت قد أصابت الحجاج من جراء مفاوضات عبد الملك مع ابن الأشعث(٣). فقد كان الحجاج من ناحيته كقائد عسكرى يعلم أن جيش عبد الرحمن

---

(١) الطبرى، نفس الجزء، صـ٣٤٩.

(٢) انظر قبله عن هذه المعركة. صـ١٧.

(٣) الطبرى، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٥٧. والذهبى، دول الإسلام، ج١، صـ٥٨.

يمكن أن تلحق به الهزيمة، بعد أن تعامل معه في أكثر من لقاء. ورغم ما لاقاه الحجاج من مصاعب في الحرب التي قادها بنفسه ضد عبد الرحمن، ورغم تعدد المعارك التي كان جيش الحجاج يتعرض فيها للهزائم فان الأمدادات التي وصلته من عبد الملك، وما تمتع به الحجاج من تصميم في القتال[1] أدت الى وقوع هزيمة فادحة بجيش عبد الرحمن بالقرب من دير الجماجم في ٨٢/٧٠١[2]. ونعتقد أن معركة دير الجماجم كانت من المعارك الفاصلة والقاضية على الحركة برمتها. فقد اشترك مع عبد الرحمن في تلك المعركة ما يقرب من مائة الف محارب من أهل الكوفة والبصرة والقراء وأهل الثغور وغيرهم، مما يدل على كثرة انصاره وتنوعهم، فضيعت الهزيمة آمال الجميع في النصر والتخلص من مساوئ حكم الحجاج.

وتوالت بعد دير الجماجم بعض المعارك التي كان آخرها موقعة مسكن في ٨٢/٧٠١[3]، وإن كان البعض[4] يحدد تاريخ هذه المعركة في السنة التالية أي ٨٣/٧٠٢.

ولم يجد عبد الرحمن أمامه إلا الفرار والانسحاب تجاه سجستان التي عرف أهلها وعرفوه. ولكن المفاجأة أن عمال مدنها تنكروا له مثلما حدث في زرنج[5]، وتآمر عليه البعض الآخر وأرادوا تقديمه قربانا للحجاج وعبد الملك مثلما حدث في بست[6].

وبينما اغلقت الأبواب في وجه عبد الرحمن بفعل تضييق الحجاج عليه، وجدنا رتبيل كابل يتدخل في الوقت الذي كان عامل بست قد تمكن فعلا من القبض على ابن الأشعث، فأرسل رتبيل الى هذا العامل تهديدا جاء فيه : "... لئن اذيته بما يقذى عينه

---

(١) اليعقوبي، ج٢ صـ٢٧٨.

(٢) ابن اعثم، الفتوح (عدة اجزاء)، تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن ١٩٦٩. ج٢، صـ٢٤٧. تاريخ سيستان، صـ١١٦.

(٣) اليعقوبي، ج٢، صـ٢٧٨.

(٤) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، صـ٢٣٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٦٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٤، صـ٤٨٦.

أو ضررته ببعض الضرر أو أخذت منه ولو حبلا من شعر لا أبرح حتى استنزلك واقتلك وجميع من معك واسبى ذراريكم واغنم اموالكم"(١). فاضطر عامل بست الى اطلاق سراح عبد الرحمن الذى سار مع رتبيل تحت مظلة أمانه، وهو من الأمور التى كان قد اتفق عليها من قبل بين الطرفين. أما بقية أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث فقد تفرقت فى بلدان المشرق الإسلامى، فقد اتجهت احدى الفرق على سبيل المثال الى هراة فى خراسان تحت قيادة عبد الرحمن بن العباس الهاشمى(٢) أما أغلب انصاره فقد انتشروا فى سجستان وكونوا من جديد جبهة معارضة وراسلوا ابن الأشعث بامكانية النهوض مرة أخرى والارتكاز على قواعد المعارضة فى اقاليم المشرق(٣) ولكن ابن الأشعث قدر خطورة الموقف أنذاك، فالخليفة عبد الملك من الخلفاء الأشداء، كما أن الحجاج الذى تولى شئون المشرق لن يتساهل فى تتبع كل حركات المعارضة، بالاضافة الى أن خراسان التى ارادها انصار ابن الأشعث أن تكون مسرحا لمعارضته، أصبح على ولايتها من قبل الحجاج آل المهلب، الذين رفضوا التعاون مع ابن الأشعث واعتبروا حركته تفريقا للوحدة الإسلامية(٤)، وهذا ما لمسناه فى رسائل المهلب لابن الأشعث عندما اراد الأخير استدراج الأول للتعاون معه ضد الخلافة والحجاج. ولذلك فضل عبد الرحمن الاستمرار فى ملجئه عند حليفه رتبيل، ولكن انصاره الذين تمكنوا من السيطرة على زرنج بعد أن تجمعت صفوفهم وزاد عددهم طالبوه بالعودة، وسار بهم فعلا ناحية خراسان. ولكن والى خراسان يزيد بن المهلب تصدى لهذا الجيش الجريح، فالحق به الهزيمة، فاضطر ابن الأشعث الى الانسحاب الى هراة ومنها الى سجستان مرة أخرى(٥).

---

(١) ابن الأثير، نفس الجزء، صـ٤٨٥. وتاريخ سيستان، صـ١١٦.

(٢) اليعقوبى، ج٢، صـ٢٧٩. تاريخ سيستان، صـ١١٦.

(٣) الطبرى، الرسل، ج٦، صـ٣٦٩.

(٤) العبود، آل المهلب، صـ٨٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤، صفحات ٤٨٨-٤٩٣. وابن خياط، تاريخ، ج١، صفحات ٢٨٦ و ٢٨٧.

وهكذا ضاعت املاك ابن الأشعث فى المشرق، فقد كان يتولى سجستان وكرمان وفارس والبصره، ولكنه بعد تلك الهزائم التى اعقبت دير الجماجم تحول الى لاجئ عند رتبيل، تتابعه عيون الحجاج وترصد عليه تحركاته، وأخيرا علم الحجاج من أين يؤتى رتبيل؟

أرسل الحجاج الرسل الى ملك كابل يحملون فى كفة التهديد والوعيد إن لم يقدم رتبيل على تسليم ابن الأشعث، أما الكفة الأخرى فعليها وضع الامتيازات التي سيحصل عليها رتبيل إن استجاب لنداء الحجاج من اعفاءات وأموال جزيلة[١]، فلم يجد رتبيل بدا أمام محاولات الحجاج، فقبض على عبد الرحمن وأرسل به مكبلا الى الحجاج هو وأهل بيته.

فلما صاروا بالرخج رمى ابن الأشعث بنفسه من على سطح القصر، فمات فى حينه[٢]، وأخذت رأسه وسير بها الى الحجاج فى ٧٠٣/٨٤. وفى رواية الطبرى[٣] ضربت اعناق الأسرى وأرسل برأس ابن الأشعث ورؤوس أهله وزوجته الى الحجاج فى ٧٠٤/٨٥، فأرسلها بدوره الى عبد الملك، الذى أرسل الرأس إلى أخيه عبد العزيز بن مروان فى مصر[٤]، وانتهت بمقتله الأحداث السياسية والعسكرية لتلك الحركة.

نستخلص مما سبق أن حركة عبد الرحمن بن الأشعث من الحركات الخطيرة التى عبرت عن استياء الموالى والعامة من السياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة الأموية، وانه كان يمكن لهذه الحركة أن تحقق نجاحا بعد مانا له ابن الأشعث من شعبية فى بعض اقاليم المشرق. كذلك صادفت هذه الحركة فترة احياء للدولة الأموية، مما ساعد على كبت الحركة والقضاء عليها.

---

(١) اليعقوبى، ج٢، صـ٢٧٩. والمسعودى، التنبيه، صـ٢٧٣.

(٢) الذهبى، دول الإسلام، ج١، صـ٥٩. تاريخ سيستان، صـ١١٨.

(٣) تاريخ الرسل، ج٦، صـ٣٩١.

(٤) قال بعض الشعراء فى ذلك:

هيهات موضع جثة من رأسها * رأس بمصر وجثة بالرخج

الطبرى، ج٦، صـ٣٩١. تاريخ سيستان، صـ١١٨.

قائمة باسماء المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع العربية

= ابن الأثير (عز الدين على بن محمد ت ١٢٣٢/٦٣٠)، الكامل فى التاريخ (عدة اجزاء) نشر دار الكتاب العربى بيروت ١٩٨٣.

= الاسفرايينى (طاهر بن محمد ت ٤٧١)، التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، نشر مطبعة النهضة بتونس ١٩٣٩.

= الأصفهانى (ابو الفرج على بن الحسين ت ٣٥٦)، الأغانى - عدة اجزاء -، تحقيق عبد الستار فراج بيروت ١٩٦١.

= ابن اعثم (ابو محمد احمد الكوفى ت حوالى ٩٢٦/٣١٤) كتاب الفتوح - عدة اجزاء -، تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر اباد الدكن ١٩٦٩/١٣٨٩.

= البغدادى (ابو منصور عبد القاهر ت ١٠٣٧/٤٢٩)، الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشن، طبع مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٩٨٨.

= ابن بكار (الزبير بن عبد الله بن مصعب ت ٢٥٦/ ٨٦٩)، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامى العانى بغداد ١٩٧٢.

= الدجيلى (محمد رضا)، الأزارقة بغداد ١٩٧١.

= ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد ت ١٣٤٩/٨٩٩)، الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين (جزءان)، تحقيق محمد كمال الدين نشر عالم الكتب ببيروت ١٩٨٥.

= الدينورى (احمد بن داود ت ٨٩٥/٢٨٢)، الأخبار الطوال، ليدن ١٨٨٨.

الذهبى (الحافظ شمس الدين محمد ت ١٣٤٧/٧٤٨)، دول الإسلام (جزءان)، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى، طبع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤.

= الريس (ضياء الدين) أ- عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية ، سلسلة اعلام العرب - العدد العاشر - القاهرة ١٩٦٢.
ب- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية طبع الأنجلو المصرية ١٩٦١.

= الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم ت ١١٣٣/٥٢٨)، الملل والنحل - جزءان -، تحقيق محمد سيد كيلانى، مطبعة الحلبى القاهرة ١٩٦١.

= صالح (محمد أمين)، التاريخ الإسلامى، القاهرة ١٩٧٧.

= حسن (حسن ابراهيم)، تاريخ الإسلام السياسى والدين والثقافى والاجتماعى - عدة اجزاء - طبع دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٢.

= حلمى (محمد) ، الخلافة والدولة فى العصر الأموى ، القاهرة ١٩٦٦.

= الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ت ١٢٢٨/٦٢٦) معجم البلدان - عدة اجزاء - نشر دار صادر بيروت ١٩٨٤.

= الخربوطلى (على حسنى) ، عبد الله بن الزبير، سلسلة اعلام العرب – العدد ٤٣ – القاهرة.

= الخطيب (عبد الله مهدى)، الحكم الأموى فى خراسان، رسالة ماجستير بآداب عين شمس ١٩٧١م.

= ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ١٤٠٦/٨٠٨)، المقدمة ، القاهرة.

= الخولى (احمد)، سجستان بين العرب والفرس، طبع دار حراء القاهرة ١٩٨٦.

= ابن خياط (ابو عمر خليفة ت ٨٢٤/٢٤٠)، التاريخ، تحقيق اكرم ضياء العمرى، النجف الأشرف ١٩٦٧.

= ابن عبد الحق صفى الدين عبد المؤمن ت ١٣٣٨/٧٣٩)، ، مراصد الأطلاع على اسماء الامكن والبقاع (عدة اجزاء) تحقيق البجاوى القاهرة ١٠٩٥٥.

= الطبرى (ابو جعفر محمد بن جرير ت ٩٢٢/٣١٠) ، تاريخ الرسل والملوك – عدة اجزاء – تحقيق محمد ابو الفضل، طبع دار المعارف ١٩٧١.

= العبود (نافع توفيق)، آل المهلب بن أبى صفرة ودورهم فى التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجرى، بغداد ١٩٧٩.

= ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد ت ١٣٣١/٧٣٢)، المختصر فى أخبار البشر – عدة اجزاء – طبع مصر ١٣٢٥هـ.

= فلهوزن (يوليوس) ، تاريخ الدولة العربية منذ ظهر الإسلام الى نهاية الدولة الأموية، نقله الى العربية محمد عبد الهادى ابو ريده وراجعه حسين مؤنس، طبع لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٨.

= فلوتن (فان)، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية ، ترجمة حسن ابراهيم ومحمد زكى القاهرة ١٩٦٥.

= ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينورى ت ٨٨٩/٢٧٦)، الامامة والسياسة - جزءان - طبع دار المعرفة ببيروت.

= القلماوى (سهير)، أدب الخوارج فى العصر الأموى، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥.

= ابن كثير (ابو الفدا الحافظ ت ١٣٨٢/٧٧٤)، البداية والنهاية - عدة اجزاء -، تحقيق احمد أبو ملحم وعلى نجيب وفؤاد سيد ومهدى ناصر، طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥.

= لسترنج (كى)، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، طبع بيروت ١٩٨٥.

= ماجد (عبد المنعم)، التاريخ السياسى للدولة العربية (جزءان) القاهرة ١٩٦٠.

= المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين ت ٩٥٧/٣٤٦)، أ- مروج الذهب ومعادن الجوهر - عدة اجزاء - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨.
ب- التنبيه والاشراف ، طبع دار التراث ببيروت ١٩٦٨.

= المقدسى (ابو عبد الله محمد بن احمد ت ٩٧٨/٣٧٨)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ١٩٠٦.

= اليعقوبى (احمد بن أبى يعقوب المعروف بابن واضح ت ٨٩٧/٢٨٤)، تاريخ اليعقوبى (جزءان - طبع دار صادر بيروت.

ثانيا المصادر والمراجع الفارسية:

= حبيبى (عبد الحى) ، تاريخ مختصر افغانستان (دوجلد)، طبعة كابل ١٣٤٦ هـ.ش.

= خواند مير (غياث الدين همام القرن ١٠/١٦)، حبيب السير، تحقيق محمود سيافى طبع طهران ١٣٥٣ هـ.ش.

= زاده (حسين كاظم)، تجليات روح ايرانيان، برلين ١٩٢٣م.

= ابن فندق (ابو الحسن على بن زيد ت ١١٦٧/٥٦٣)، تاريخ بيهق باتصحيح وتعليقات احمد بهمنيار ، طبع طهران ١٣٤٨هـ.

= كهزاد (احمد على) تاريخ افغانستان، طبع كابل ١٣٢٥ هـ.ش.

= لطيفى (عبد الباقى)، افغانستان ويك تكاه اجمالى، جاب كابل ١٣٢٥ هـ.ش.

= مجهول، تاريخ سيستان، بتصحيح ملك الشعرا بهار، بهمت محمد رمضانى، طهران ١٣٥٢.

= مير خوند (محمد بن سيد برهان الدين بن خاوند شاه ت ١٤٩٧/٩٠٣)، روضة الصفا
- عدة اجزاء - طبع طهران ١٣٣٩ هـش.

ثالثا المراجع الأوربية:

= Bosworth (C.E)
1- Sistan under the Arabs from the Islamic conquest to the rise of the Saffarids (30-250 - 651 - 864), Rome 1968.
2- Ubaidallah b. Abi bakra and the army of de struction inzabulistan (69/698), DER Islam Berlin 1973.

= Hell (J.), The Islamic Civilization Lahore 1943.

= Gibb (H.), Studies on the civilization of Islam, London 1962.

= Miles (S.B.), The Countries and Tribes of the Persian gulf, London 1966.

= Muir (W.), The Caliphate, its rise, decline and fall, Beirut 1963.

دار الحكيم للطباعة الأوفست
٤٦ شارع التجارة - مدينة المحلة ☎ ٢٨٢٩٢٣٣٢